

علي شعثنان*

المؤثرات الخارجية في المماحكات اليمنية

” تحاول هذه الورقة أن تحلّل مدى التأثير الخارجي في المماحكات اليمنية المُنفذة بطرائق عديدة. فثمة ثلاثة مؤثرات، أولها يؤثر انطلاقاً من مبدأ تحقيق طموحات مدّ النفوذ وبناء الهيمنة، ويتخذ من التنوع الحاصل في اليمن وسيلةً لإستراتيجية التنفيذ، وهذا ما تُقلّل من شأنه بعض القوى المحلية التي يدعمها المؤثر الخارجي الثاني، كإهتمام المتجانس وسدّ الثغرات من الجوار (المد الناصري سابقاً). وبين طموحات مدّ النفوذ والاهتمام المتجانس، يبرز المؤثر الخارجي الثالث المتمثل بنشاطه الدبلوماسي بوصفه حالةً للحفاظ على مصالحه وديمومة تفرده القطبي.

ويتضمّن التأثير الأول في عهد النظام السابق في اتخاذ الحكومة آنذاك كلّ مبادئ الدبلوماسية، بغية تجنب الحروب. وبما أنّها لم تُفلح في ذلك، نشبت سيّئ حروب، شارك المؤثر الخارجي الثاني فيها عسكرياً خلال الحرب السادسة. ويعمل المؤثر الخارجي الثالث في هذه الحال، بما يوافق نتائج الدراسات البحثية لمراكزه الإستراتيجية الهادفة إلى ديمومته في الهيمنة السياسية والاقتصادية. وفي عقب ثورات الربيع في الوطن العربي عام ٢٠١١، تغيرت موازين اللعبة السياسية في اليمن بين صعود وهبوط بفعل تلك المؤثرات، وتتابع المتغيرات؛ ما عزّز ضعف هيبة الدولة، وهياً للمكون المُساند من المؤثر الأول السيطرة على العاصمة اليمنية صنعاء.

”

* باحث ورئيس منتدى العلّ للدراسات، اليمن.

مقدمة

عندما تُوضع المباحثات اليمنية في سياق تحليل العوامل الخارجية، فإن نتائج ذلك التحليل تُشير إلى ثلاثة أدوار (إيراني، سعودي، وأميري)، ينتهز الدوران الأول والثاني منها خيار التنوع الحاصل في الجمهورية اليمنية، وفقاً لأهدافهما الإستراتيجية، ويُصنفان كخطين ينطلقان من قاعدة المعتقد ويتوازيان من جهة الأفكار المذهبية، ويختلفان من جهة نظام الولاية. فإيران تجعله وفق ولاية الفقيه المحصورة في السلالة. والمملكة العربية السعودية، وإن كان نظامها وراثياً، فإنها لا تنكر نظام الحكم الكفاء مقيّدةً إيّاه مجموعة من الشروط.

أما الدور الثالث الذي يعمل وفق الدراسات الإستراتيجية لمراكزه البحثية ونتائجها، فيُصنف كخط عمودي يرتكز على قاعدة حفظ المصالح والهيمنة السياسية. ويُلاحظ ذلك جلياً في تبعات الثورة السورية، وفي استغلال الأميركيين حق النقض المعروف بـ "الفيتو" الذي اعتمدته روسيا ضدّ قرارهم بشأن ضرب نظام الأسد، وقايضت ذلك القرار بأخر يُلزم هذا النظام تسليم السلاح الكيماوي.

وتتشكّل البنية السكانية لليمن من التنوع المذهبي الحاصل على مستوى الساحة اليمنية منذ قديم الزمن. وضمن هذا التنوع نذكر مذهبي الزيدية والشافعية، إضافةً إلى بعض الجماعات المذهبية ذات الأقلية، وكذلك التعدد السياسي المسموح بأفكاره الثلاثة (اليمني، والوسطي، واليساري)، وخصوصاً في عقب قيام الوحدة اليمنية في ٢٢/٥/١٩٩٠. إلا أنّ عوامل التغيرات المتتالية التي تشير إلى الأدوار الخارجية، مكّنت الجماعة الحوثية من السيطرة على العاصمة اليمنية صنعاء^(١)، ومن مواصلة تمددها صوب الجنوب، وذلك بعد إدراج اليمن ضمن مضامين البند السابع الهادف إلى ردع معرقلي التسوية السياسية.

التنوع المذهبي في اليمن

يتمثّل التنوع المذهبي الحاصل على مستوى الساحة اليمنية بمذهبي الزيدية والشافعية، إضافةً إلى بعض الجماعات المذهبية ذات الأقلية.

فالزيدية تُشكّل نحو ٣٠٪ من عدد السكان، وهي إحدى المذاهب الشيعية والأقرب إلى السنة في اعتدالها وابتعادها عن التطرف والغلو^(٢). في حين يتمسك أمتهّا الهاشميون مع الإثني عشرية بأحقية أهل البيت في الحكم وحصره فيهم. فها هو السيد بدر الدين الحوثي (والد مؤسس الجماعة الحوثية)، والعلامة المحطوري يجسدان ذلك التمسك بالإقرار، من خلال إجابتهما عن سؤال متعلّق بموقفهما من حصر الولاية العامة في سلالة ما يسمى "أهل البيت". والزيدية ترفض التصوف رفضاً قاطعاً، إلا أنه يُلاحظ حالياً أنّ الحوثيين يقيمون علاقات مع متصوفة اليمن - وهو أمر إيجابي - لكنّ بعضهم يُعلّل ذلك بعدم زيدية الجماعة الحوثية.

أما الشافعية، فهي تُشكّل، إلى جانب بعض الجماعات المذهبية، نحو ٧٠٪ من عدد السكان، وهي أحد المذاهب السنيّة، أو مذاهب أهل السنة والجماعة الآخذة باتباع هدي الرسالة وأصحابها الأوائل؛ علماً، واعتقاداً، وقولاً، وعملاً، وأدباً، وسلوكاً، فضلاً عن مجانبة الابتداع في كلّ زمان ومكان^(٣).

لقد كان الامتداد المذهبي الزيدي والشافعي على مستوى الخريطة الطبيعية لليمن يُشكّل سابقاً وفق مساحة جهوية مع تضمن هذين المذهبين للأقلية؛ من ذلك مثلاً فرقة البهرة من الإسماعيلية في المنطقة الزيدية، والصفوية السنيّة في المنطقة الشافعية. وتمتد الزيدية من محافظة صعده في الشمال، وهي التي تُعدّ المعقل الرئيس للزيدية، والتي نشر منها الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي زيدته الهادوية، إلى منطقة سماره بالقرب ممّا يُعرف بـ "المناطق الوسطى لليمن". أما الشافعية، فهي تمتد من السهل التهامي الساحلي غرباً إلى المهرة جنوباً، ضامّةً المناطق المجاورة، بما فيها بعض أوساط اليمن.

وفي العصر الحاضر لا يختص أيّ مذهب بمساحة مستقلة. ويعود الأمر في ذلك إلى سماح الدستور اليمني بحرية الفكر والتعدد السياسي. فقد أُسس مركز دار الحديث (التابع للسلفيين) بمنطقة دماج في محافظة صعده ذات البنية الزيدية. ثم جرى نقل هذا المركز إلى محافظة الحديدة، إثر مواجهات مسلحة بين الحوثيين وطلاب المركز.

٢ للاستزادة، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، المجلد الأول (الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٩٩).

٣ المرجع نفسه.

١ سيطر الحوثيون على العاصمة صنعاء بتزعمهم مطالب التراجع عن "الجرعة السعوية" للمشتقات النفطية، وإسقاط حكومة الوفاق الوطني، وتنفيذ مخرجات الحوار الوطني؛ إذ طوّقت أمانة العاصمة بجموع مسلحة، وباعتصام في شارع المطار داخل العاصمة، إلى أن أشعلت حرب خاطفة انتهت بالسيطرة على أمانة العاصمة في ١/٩/٢٠١٤.

التعدد السياسي

عرف اليمن، وأواخر الثلاثينيات ومطلع الأربعينيات من القرن العشرين تحديدًا، عمليةً سياسيةً تنظيميةً ذات نشاط مُعارض بغية الإصلاح (في الشطر الشمالي من البلاد)، ونشاطًا قتاليًا بغية التحرر (في الشطر الجنوبي منه)^(٤). وتَوَجَّح المساران نشاطهما النضالي بتفجير ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ في الشمال، وثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ في الجنوب، وفق ستة أهداف ومبادئ ثورية واحدة، أهمها التحرر من الاستبداد والاستعمار ومخلفاتهما، وإقامة حُكم جمهوري عادل، وإزالة الفوارق بين الطبقات، إضافةً إلى هدف تحقيق الوحدة الوطنية في نطاق الوحدة العربية الشاملة.

استمر الجهد الوحدوي من كلا الشطرين، وكُلِّل بالإنجاز في ١٩٩٠/٥/٢٢، وتحقق اندماج طبيعيٍّ ضمن مسمى "الجمهورية اليمنية"، واندماج سياسيٍّ ضمن نظام تعددي، وألغِيَ ما كان يُعرف سابقًا بـ "الجمهورية العربية اليمنية" شمالًا و"جمهورية اليمن الديمقراطية" جنوبًا. ومع الكيان الجديد ودستوره المُتفق عليه، وُلدت حرية التعدد السياسي، ووُلد خيار الديمقراطية^(٥)، فأعلن أكثر من خمسة وأربعين تنظيم سياسي عن نفسه خلال الفترة أيار/ مايو ١٩٩٠ - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٢^(٦)، وفق المِل المتعارف عليه سياسيًا (يميني، وسطي، ويساري)، بطريقة تحفظ القيم المجتمعية وخصوصياتها؛ بحسب الرؤى الفكرية لرموز التنظيم ومؤسسيه، والواضعين إياها في النظام الأساسي كاسلوب برامجي.

فالتيار اليمني يتمثل بالمكونات ذات الأسس الانضباطية^(٧)، كما أنّ الوسطية تتمثل بالجماعات ذات التوجهات الاعتدالية الداعية إلى التغيير نحو الأفضل، وقد أعلنتها في اليمن أغلب الأحزاب والتنظيمات السياسية. وبما أنّ اليسارية ذات سمة شاملة، و متمثلة بالاشتراكية،

٤ للاستزادة، انظر: حميد أحمد شحرة، مصرع الابتسامة (اليمن: المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية، ١٩٨٨).

٥ ورد في نص المادة (٣٩) من دستور دولة الوحدة ما يلي: "للمواطنين في عموم الجمهورية بما لا يتعارض مع نصوص الدستور الحق في تنظيم أنفسهم سياسيًا ومهنيًا ونقابيًا، والحق في تكوين المنظمات العلمية والثقافية والاجتماعية والاتحادات الوطنية، بما يخدم أهداف الدستور". ولكن مع التعديل الدستوري في ١٩٩٤/٩/٢٩، جرى تعديل لتلك المادة؛ إذ ورد في المادة الثالثة ما يلي: "يقوم النظام السياسي للجمهورية اليمنية على التعددية الحزبية، وذلك بهدف تداول السلطة سلميًا".

٦ انظر على سبيل المثال: أحمد علي البشاري، الأحزاب والتنظيمات السياسية في الجمهورية اليمنية: دراسة تحليلية وفائقة لبرامج العمل السياسي (صنعاء: كتاب الثوابت، ٢٠٠٣).

٧ لم تعلن السلفية في اليمن عن إنشاء أي تنظيم سياسي، بل أطرت نشاطها وفق جمعيات أهلية، إلا أنّ تداعيات نتائج مؤتمر الحوار الذي عُقد في اليمن ألزمت فصائل سلفي إعلان كيانه ضمن مسمى "اتحاد الرشاد اليمني".

فإنّ مُنتهجها في الوطن العربي عمومًا واليمن خصوصًا، يصفونها بالأسلوب العملي القاضي على بؤس الإنسان وشقائه. في حين أنّ معارضيتها بوجهٍ عامٍّ، يرونها انفلاتًا من الضوابط، ومن الاعتراف بمحظورات الدين والأعراف الاجتماعية.

التأثير الإيراني

لم تستغلّ إيران وحرسها الثوري حالة التنوع الحاصل في اليمن فحسب، بل إنّها استغلت هذه الحالة في كلّ من لبنان (مؤازرة حزب الله)، والعراق (بناء نظام ما بعد صدام حسين)، وسورية (الوقوف إلى جانب نظام الأسد في حربة ضدّ المكونات الثورية)، إضافةً إلى البحرين (مساندة المطالبين بإسقاط الحكم)، وقد تستغلّها في أماكن أخرى تنفيذًا لإستراتيجية استغلال التنوع بوصفها خطّ عبورٍ يمدّ النفوذ ويحقّق طموحات إعادة المجد^(٨) الذي أُنهي بانتشار الدعوة الإسلامية وفتوحاتها العادلة. ويبدو جليًا أنّ الاستغلال الإيراني لتلك الحالة قد انتقل من الخفاء إلى العلن، ومن درجة الاعتقاد إلى الاعتقاد الجازم.

من أجل ذلك أنشأت إيران سابقًا؛ نظرًا إلى طموحها الإقليمي تجاه اليمن، ما أطلقت عليه "المجلس الشيعي الأعلى في اليمن" برئاسة آية الله عصام علي العماد الذي يقيم في إيران، علاوةً على بنائها مع قوَى أخرى غير شيعية (اليساريين) قطبيةً في المنطقة. وما يشير إلى ذلك زيارة السفير الليبي بصنعاء، خلال عهد القذافي لمحافظة صعده معقل الحوثيين. وخلال هذه الزيارة، رُصد مبلغ قدره خمسون ألف دولار، مقدمة ليبيا للحوثيين تحت خطاب إنشاء "منظمة أهل البيت". وهذا قد يُعلّل بـ "اشتراكية" نظام القذافي، وتدهور علاقته بالسعودية آنذاك. ثمّ إنّ إيران لم تحضّ غمار محاولة الهيمنة في هذا العصر، بل إنها خاضتها سابقًا. وفضلاً عن ذلك، نشبت حروب عسكرية بينها وبين العثمانيين إثر محاولة كلّ طرف السيطرة على زعامة العالم الإسلامي. ولعل "معركة شماهي" التي انتصر فيها العثمانيون كانت آخر تلك الحروب.

ومن خلال المسمى الشيعي، يجتمع الإيرانيون والحوثيون، إلا أنّهما يفترقان مذهبيًا. فإيران إثنا عشرية، والإثنا عشرية تتناول على بعض الصحابة. في حين أنّ الحوثية زيدية، والزيدية ترضي عن

٨ تهتم إيران رسميًا بالثقافة الفارسية؛ فهي تحتفل بما يُسمى "عيد النيروز" الذي ليس من الإسلام في شيء، كما أنها تستخدم التاريخ الفارسي بدلًا من التاريخ الهجري.

في العالم"، ويشير هذا البيان، في تلميح إلى الحرب الثانية على الجماعة الحوثية، إلى أن الشيعة يتعرضون لتصفية جماعية لا سابق لها^(١٣).

في عقب ذلك، نَحَتِ المساندة الإيرانية للحوثيين نحو التطور وبوادر العلن. فخرجت في طهران تظاهرات شعبية مُساندة للحوثيين، مطالبة بتغيير أحد شوارع طهران من اسم "شارع اليمن" إلى اسم "شارع حسين الحوثي"، بعد مقتلة، وتمَّ تلبية ذلك رسميًا؛ ما اضطر مجلس الدفاع الوطني في الجمهورية اليمنية، إلى عقد جلسة في ٩/ ٢/ ٢٠٠٧، بخصوص مناقشة إعادة النظر في علاقة اليمن الخارجية، في إشارة ضمنية إلى الجمهورية الإيرانية.

ثمَّ إنَّ الحكومة اليمنية لاحظت اتصالاً بين شقيق مؤسس الجماعة حسين الحوثي والبرلماني يحيى الحوثي بإيران، فرفعت عنة الحصانة البرلمانية بالقرار البرلماني الذي صوت عليه ١٨٨ عضواً من أصل ٣٠١ عضو من إجمالي عدد أعضاء مجلس النواب اليمني، في الجلسة المنعقدة في ٢٨/ ٢/ ٢٠٠٧^(١٣)، بتهمة الاتصال غير المشروع بدول أجنبية، ضمن إشارة إلى إيران. فأعلن اللجوء السياسي بألمانيا، وهي الدولة التي اعتقلت الاستخبارات الأمريكية على أرضها الشيخ محمد المؤيد، بتهمة تقديمه الدعم المالي لحركة المقاومة الإسلامية حماس^(١٤).

لهذا دارت في محافظة صعدة ستة حروب إبان عهد النظام السابق ضدَّ الحوثيين^(١٥)، جرى فيها من مبدأ الإخاء وحقن الدماء، تقدُّم دولة قطر الشقيقة بوساطة أخوية بين الحكومة اليمنية والجماعة الحوثية، لم يستمرَّ أمدها طويلاً. وقد علَّل بعضهم ذلك بأنَّ الجماعة الحوثية قبلت الوساطة آنذاك بإلزام إيراني خوفاً من الاستئصال^(١٦). ويُعلَّل أنصار الرئيس صالح ذلك بالتسامح السياسي. ومن الحوادث التي تبعت ذلك، مشاركة الجماعة الحوثية في الاعتصامات الثورية عام ٢٠١١. وتجلَّت إثر ذلك نزعة إيرانية تطمح إلى مدِّ نفوذها ودعم الحوثيين، بلغت مستوى المد والجذر في ما يتعلَّق بمفاوضات برنامجها النووي^(١٧). وقد أعلنت حكومة الوفاق الوطني، أواخر

جميع الصحابة. وما البروز الحالي للطموح الإيراني وأشياعه إلا بمنزلة حضور يجمع بين الأم (إيران) والابن (حزب الله)، ودعوة إلى الأخ غير الشقيق (الحوثيين). وقد لبَّى الحوثيون هذه الدعوة، فكانت المراسلات لتمتين العلاقات بينهما.

ففي رسالة من الحوثي إلى الشهرستاني في قم^(١٨)، وردت إشارة إلى سعي الحوثي لبناء علاقات مع إيران. وقد أفصح الأب الروحي للجماعة (السيد بدر الدين الحوثي) في مقابلة صحافية يمنية عن أنه سافر إلى إيران إثر تداعيات حرب صيف عام ١٩٩٤، بين فصيلة من الحزب الاشتراكي أعلنت الانفصال وقوى سياسية أعلنت الدفاع عن الوحدة^(١٩).

ويتداول العامة أن بدر الدين الحوثي مؤسس الجماعة قد تحصَّل على شهادة الماجستير من إيران، بعد تشبعه بالأفكار الإثني عشرية. وثمة تصريحات مفادها أن شعار الصرخة للحوثيين، هو ذاك الذي أوجده الإمام الخميني بدعوى استعماله أثناء الحج، إعلاناً للبراءة من المشركين. وكان الاتصال بين الطرفين بمنزلة انتفاع مُتبادل؛ فالحوثيون اتخذوه لبناء الجماعة كما أنَّ الإيرانيين اتخذوه لبناء القطبية، ومنه انكشف التأثير الإيراني في اليمن، وقد لاحظت الحكومة اليمنية بوادر ذلك الاتصال منذ عام ٢٠٠٢.

وأثناء زهاب الرئيس السابق (علي عبد الله صالح) لأداء فريضة الحج عبر موكب بريٍّ، مرَّ بالمحافظة الحدودية مع السعودية صعدة، وتوقف بها لصلاة الجمعة. وفي عقب أداء الصلاة هتف أنصار الحوثي بشعار الصرخة، فعرف صالح المصدر، وكلف في ٧/ ٣/ ٢٠٠٣ (أي قبل الحرب الأولى) وزير الخارجية (وهو أبو بكر عبد الله القريبي)، والمغتربين آنذاك، بالتوجه إلى طهران، وقد حَمَلَ القريبي رسالةً إلى قائد الثورة الإيرانية - وخصوصاً مرشدتها الأعلى - تتعلق بالموضوع الحوثي في صعدة، وموقف إيران الرسمي من ذلك^(٢٠).

غير أنَّ إيران لم تُراعِ مبادئ العلاقات الدولية، وواصلت تقديم الدعم، والمساندة المتعددة للحوثيين. وأصدرت الحوزة الشيعية بالنجف في نيسان/ أبريل ٢٠٠٥ بياناً لها بعنوان "نداء إلى محافل حقوق الإنسان

٩ صحيفة الثقافية، ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٥.

١٠ أعادت نشر المقابلة بعض المواقع اليمنية؛ منها حشد نت، في ٩/ ٨/ ٢٠٠٤، انظر على الرابط:

hshd.net/print6162.html

١١ انظر: عبد الفتاح البتول، "الحوثيون، عفو السلطة وعنف الجماعة: محاولة للفهم"، مجلة المنتدى، العدد ١٠٥ (٢٠٠٧)؛ وانظر أيضاً: حسن الحاشدي، "فتنة تنظيم الشباب المؤمن: الحوثية"، مجلة المنتدى، العدد ١٠٦، آذار/ مارس - نيسان/ أبريل (٢٠٠٧).

١٢ المرجع نفسه.

١٣ الحاشدي، ص ٢٩.

١٤ للاستزادة، انظر: ناصر محمد علي الطويل، الحركة الإسلامية والنظام السياسي في اليمن (صنعاء: دار الكتب اليمنية، ٢٠٠٩).

١٥ دارت ستة حروب بمحافظة صعدة خلال عهد النظام السابق، ودارت في أكثر من محافظة أكثر من ستة حروب بعد عام ٢٠١١.

١٦ انظر: عبد الفتاح البتول، "بعد اتفاق الدوحة: الحوثيون والسلطة من المواجهات العسكرية إلى الحرب الفكرية، مجلة المنتدى، العدد ١١١ (٢٠٠٨).

١٧ انظر: محمد المصري، "سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط"، سياسات عربية، العدد ٧ (٢٠١٤)، ص ٦٠.

صعدة (معقل الزيدية الهادوية)، وعمل على استقطاب الطلاب ونشر العلوم وتقديم المحاضرات التي عدّها أئمة المذهب الزيدي مناقضةً لطبيعة الفكر السائد في المنطقة. لهذا أشار الباحث الفرنسي فرانسوا بورغا، في كتابه *الإسلام السياسي في زمن القاعدة*، إلى ما عرضته مجلة نوافذ اليمن في زاوية عرض كتاب، ضمن عنوان: "الشوكاني والزيدي والإمام يحيى وإخوان اليمن"، من خلال القول: "إنّ طبيعة العلاقات بين أنظمة شبه الجزيرة العربية والاتجاه السلفي (الشيخ مقبل بن هادي الوادعي نموذجًا)، علاقة تصالح"^(١٩).

وفي هذا السياق، لا تُعدّ السلفية في اليمن - بحسب توجهاتها - منضويةً إلى قيادة إدارية واحدة، وخصوصًا حين يتعلّق الأمر بقبول العمل الحزبي أو عدمه. فهي تُفرز وفق ثلاثة مكونات: هي الرفض، والقبول، والقبول المشروط.

فأمّا المكون الأول، فيتزعمه الشيخ يحيى الحجوري، منذ وفاة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في تموز/ يوليو ٢٠٠٠. وقد كان الوادعي نفسه، يرى أنّ العملية السياسية والانشغال بتنظيماتها، من الأمور المخالفة للشريعة الإسلامية. وأمّا المكون الثاني، فيتزعمه الشيخ محمد بن محمد المهدي، وهو يرى أنّه يمكن إجراء العملية السياسية من خلال ائتلاف يجمع أكبر عدد ممكن من الجمعيات والهيئات السلفية، فلا يشترط أن يؤسّس حزب سلفي سياسي. وأمّا المكون السلفي الثالث الذي يتزعمه الشيخ أحمد بن حسن المعلم، فيبدي انفتاحًا على العمل السياسي والنشاط التنظيمي، وفق قواعد شرعية ضابطة^(٢٠).

ومن انفتاح المكون السلفي الثالث، وضرورة المشاركة في مؤتمر الحوار الوطني الشامل الذي عُقد بناءً على المبادرة الخليجية لحلّ الأزمة اليمنية، أنشئ ما يُسمى "اتحاد الرشاد اليمني"، بوصفه مكونًا سلفيًا، برئاسة الشيخ محمد بن موسى العامري، زوج ابنة الشيخ مقبل الوادعي، مُحَرِّم العملية الحزبية.

وعلى الرغم من اتضاح التأثير السعودي في المستوى القبلي المشيخي لليمن، فإنّ بوادر هذا التأثير تشير إلى أنه كان في عقب ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢ التي قامت ضدّ حكم أسرة بيت حميد الدين (الإمامي) في الشطر الشمالي من البلاد، والتي ساندتها القيادة المصرية آنذاك (جمال عبد الناصر)، من وجهة نظرٍ مصريةٍ تحريريةٍ تواجه الهيمنة الغربية. وقد لاذت تلك الأسرة الحاكمة بالهرب صوب

عام ٢٠١٢، عن تمكّن أجهزتها الأمنية في خفر السواحل من إلقاء القبض على السفينة الإيرانية (جيهان ١) محملةً بالعتاد والأسلحة العسكرية، لدعم الجماعة الحوثية.

التأثير السعودي

تؤثّر السعودية في اليمن وفق مسارين أحدهما فكري والآخر قبلي. فمن جهة دعم الجماعات السلفية التي لا تنازع الحاكم في ملكه، تعدّ السعودية ذلك من مبدأ الاهتمام بكتاب الله وسنة رسوله، كما أنها ساندت سابقًا المعاهد العلمية التابعة لجماعة الإخوان المسلمين في اليمن إلى أن جرى دمجها في وزارة التربية والتعليم في عهد النظام السابق. وكانت قبل ذلك تمنح بعض الأقطاب المشيخية القبليّة في اليمن مبالغ ماليةً ومرتبّات شهريةً؛ بهدف تأمين جنوبها، والتصدي للمد الثوري ذي المشروع الناصري في ستينيات القرن العشرين.

تؤثّر السعودية في اليمن وفق مسارين أحدهما فكري والآخر قبلي

وبحسب مصادر بحثية، فإنّ بوادر الاهتمام السعودي بالسلفية في اليمن بدأت في عقب مشاركة بين الشيخ مقبل بن هادي الوادعي وجماعة جهيمان العتيبي، من خلال الإعلان عن الخلافة في أوساط الحرم المكي^(١٨). وعُفيّ عن الوادعي من حكم الإعدام الصادر في حقه، مقابل تخليه عن زيديته، وعودته إلى مسقط رأسه في صعدة ذات المذهب الزيدي، ونشره الأفكار السلفية فيها. يضاف إلى ذلك أنّ السعودية منحتة رحلةً علاجيةً إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا تحصّل الشيخ الوادعي على فرصةٍ مفضّلةٍ في العيش، بدلًا من العمل في السعودية، كما تحصّلت السعودية على بوابةٍ أخرى إلى جانب بوابة المشايخ.

وعاد الشيخ الوادعي من السعودية إلى اليمن في بداية الثمانينيات من القرن العشرين، وأسّس مركز دار الحديث بمنطقة دماج محافظة

١٨ في ٢٠/ ١٠/ ١٩٧٩، اقتحم جهيمان العتيبي ومئتان من أتباعه مسجد الحرم المكي، واستغرق وجودهم به أكثر من أسبوعين، وتمّ القضاء عليهم بمساعدة شرطة خارجية. للاستزادة، انظر: فرانسوا بورغا، "السلفية في مواجهة الإخوان المسلمين"، صحيفة *لوموند*، الطبعة العربية المنشورة بالشراكة مع صحيفة *السياسة* اليمنية كملحق شهري، العدد ٣٠، حزيران/ يونيو (٢٠١٠).

١٩ مجلة نوافذ اليمنية، العدد ٦٦، شباط/ فبراير (٢٠٠٧)، ص ١١ وما بعدها.

٢٠ عبد الغني الماوري، مجلة مدارات إستراتيجية، العددان ١٠ و١١، (٢٠١١)، ص ١٤٣.

إلى تعلّهم بسبب آخر مهمّ من وجهة نظرهم؛ هو توافد الطلاب الأجانب إلى هذا المركز، وخضوع الحكومة اليمنية لضغوط السعودية ودعمها من أجل تسهيل الإيفاد.

وأبدى الناطق الرسمي للجماعة محمد عبد السلام، في أحد تصريحاته، انكشاف مؤامرات أجنبية عديدة تسعى - بحسب قوله - لإذكاء الصراع الطائفي في اليمن، ذاكراً أنّ حسن زيد الأمين العام لحزب الحق (أحد مكونات أحزاب اللقاء المشترك الذي أوجد من أجل خلق معارضة قوية ضدّ النظام السابق) هدّد بكشف المؤامرة التي أدّت إلى نزوح طلاب المركز^(٣٢).

وعلى الرغم من عدم ارتياح الحوثيين للمبادرة الخليجية، في حلّ الأزمة اليمنية بين النظام السابق وقوى الثورة الشبابية، ووصفهم إياها بمنقذة المسؤولين المواليين للسعودية^(٣٣)، وعلى الرغم من مقاطعتهم للانتخابات الرئاسية المبكرة عام ٢٠١٢ التي اشترطتها المبادرة، بحجة التدخل الخارجي الراعي للمبادرة من جهة عشر دول، ضمنها الولايات المتحدة، فإنّ كلّ ذلك لم يعكّر صفوهم مع الرئيس هادي الذي قاطعوا انتخابه، أو طالبوا بإزاحته كما طالبوا بإزاحة حكومة الوفاق المكونة من ثلاث قوى يمنية (المجلس الثوري، والمؤتمر وحلفائه، وأحزاب اللقاء المشترك)، برئاسة محمد سالم باسندوة.

التأثير الأميركي

يوضح فرانسيس فوكوياما، ضمن ما يُعرف بعنوان "أجندة الهيمنة السياسية والاقتصادية الأميركية"، أنّ التأثير الأميركي على مستوى المنطقة العربية والإسلامية بوجه عام، يريدّها حرباً داخل الإسلام تغيّر طبيعته، فتجعله ليبرالياً يتسامح مع ألد أعداء الإسلام، وحدثاً يقيم قطيعة معرفية كبرى مع ماضيه، كما فعل ذلك أتاتورك في النموذج المتوطن بتركيا^(٣٤).

ومن هذا الإيضاح تشير الدلائل البحثية إلى استغلال الأميركيين عدداً كبيراً من الهفوات، ودعم مبدأ التجزئة دعماً طائفيّاً؛ من أجل إذكاء الانقسامية وتعزيز مُبتكر لقاعدة "فرّق تُسدّ". فأوجد بعض مثقفي الغرب مصطلح الإسلام فوبيا، بوصفه صيغة تخويفية تحذّر من هذا

السعودية؛ قصد إعادة بناء الصف ومواصلة الحكم. لكنّ هذا الأمر لم يتحقق، واستمرت المجابهة بين الثوار، وعناصر النظام الإمامي داخل اليمن المدعومة خارجياً، نحو خمس سنوات، إلى أن جرى التوصل عام ١٩٦٧ إلى حلّ بينهما برعاية مصرية سعودية، وهو حلّ قائم على الاعتراف بالنظام الجمهوري وإعلان وقف القتال.

لم تأمن السعودية الطموحات الناصرية آنذاك، والامتداد الثوري للقوات المصرية المساندة لثوار اليمن، فأوجدت في جهازها الأمني، ما يمكن أن نطلق عليه اسم "ملف مشايخ اليمن"، ومن خلاله يُقدّم الدعم لبعض الأقطاب المشيخية، في شكل منّح جزيلة، أو مرتبات شهرية. فقد أفصح الشيخ محمد بن ناجي الشايف، نجل كبير مشايخ اليمن وشيخ مشايخ قبيلة بكيل كبرى القبائل اليمنية في مقابلة تلفزيونية، عن أنّ والده يتحصّل على الدعم السعودي، مقابل تأمين الحدود. واستمرّ الدعم السعودي للمشايخ إلى أن قلّص أثر التوافق مع الرئيس صالح والنظام السعودي، خلال اتفاقية رسم الحدود بين البلدين سابقاً.

وعلى الرغم من أنّ الحروب السبّ بين الحكومة اليمنية والجماعة الحوثية، إبان حكم صالح في محافظة صعدة شمال اليمن، كانت تجرى عبر قرار للبرلمان اليمني، فإنّ البرلمان يحمي الحوثي صرحاً أثناء وجوده في ليبيا، بأنّ الضرب العسكري من جهة الجيش اليمني ليس سوى حرب بالوكالة تدفع تكلفتها مسبقاً للمملكة العربية السعودية، وأنها صدّقت صورة الإملاءات بخيار الفعل؛ من خلال مشاركتها في ضرب الحوثيين جويّاً أثناء الحرب السادسة^(٣٥).

وبانتهاء الحرب السادسة، هدأت قضية صعدة، إلى أن أشعلت حرب قصيرة في دماج عام ٢٠١٣ بين الحوثيين وطلاب مركز دار الحديث، وأوقفت بناءً على اتفاق بين الطرفين مفاده نقل المركز من محافظة صعدة الحدودية مع السعودية إلى محافظة الحديدة الساحلية على البحر الأحمر. ومن جهتها، أدّرت السعودية، إثر ذلك، الجماعة الحوثية ضمن قائمة الإرهاب، ودعت المجتمع الدولي إلى مساندتها في هذا الإدراج والاعتراف به.

أمّا الحوثيون فيزرون نقل مركز دار الحديث السلفي بدماج من محافظة صعدة إلى محافظة الحديدة، بأنّ السلفيين في هذا المركز وقعوا ضحية لقوى خارجية كالسعودية، وداخلية كبعض المشايخ القبليّة (في إشارة إلى حرب الحوثيين القبليّة ضدّ آل الأحمر)، إضافةً

٢٢ "السلفيون ضحية الإصلاح والسعودية وأمريكا وأولاد الأحمر"، صحيفة الهوية، ١٦ / ١ / ٢٠١٤.

٢٣ أشير إلى ذلك في المقالة "وانقلب السحر على الساحر"، المرجع نفسه.

٢٤ محمد عمارة "الحملة الجديدة على العالم الإسلامي"، مجلة المنار الجديد، العدد ٢١ (٢٠٠٣).

٢١ خلال الحرب السادسة بين الحوثيين والحكومة اليمنية، حدثت مواجهة عسكرية بين الجيش السعودي ومقاتلي الحوثي على الحدود، استخدمت فيها السعودية السلاح الجوي.

للحكومة اليمنية في حربها ضد الحوثيين، وأحياناً أخرى نسمع قولاً مهدداً لمجموعة من الطلاب السلفيين المسلمين في الصراع معهم.

لقد صرح السفير الأمريكي السابق توماس كرايسكي، عند بؤادر الحرب على الجماعة الحوثية، بدعم بلاده للحكومة اليمنية في المواجهات الدائرة آنذاك^(٢٧)، وسرعان ما سمعنا قولاً تهديدياً للقائمة بأعمال السفارة الأمريكية بصنعاء كارين ساسا هارا مناقضاً لذلك التصريح؛ ذلك أنها التقت الرئيس عبد ربه منصور هادي لبحث الوضع، أثناء احتدام الصراع المسلح الدائر بين من حاربتهم الحكومة اليمنية، ومن ثمة السلفيين في منطقة دماج بمحافظة صعدة، وتمخض هذا اللقاء عن قولها: يجب إخراج السلفيين من منطقة دماج بمحافظة صعدة إلى مكان آخر لأنهم يشكّلون خطراً على الولايات المتحدة الأمريكية، وطلبت إلى الرئيس هادي، في اللقاء نفسه، أن يبلغ قيادة الجماعة السلفية في مركز دار الحديث بدماج أنهم مستهدفون من الطائرات الأمريكية^(٢٨).

ومن دواعي الحفاظ على أمن البلاد والحدّ من دور المزعزعين له، أُدرج اليمن في مضامين البند السابع، وجرت بعد ذلك الإدراج بمحافظة عمران حروب بين الحوثيين وأولاد الأحمر، وبين الحوثيين ومستشار الرئيس للشؤون العسكرية والأمنية اللواء علي محسن بالعاصمة صنعاء، ولم يَدُنْ أيُّ طرف منهما أو يوضع ضمن عقوبات ذلك البند، وهو أمرٌ مثيرٌ للتساؤل، ويشير على الرغم من قلة السرد المتعلّق بالتأثير الأمريكي، إلى وجود أثرٍ واضحٍ في مسار الحوادث في اليمن.

سيطرة الحوثيين على صنعاء بين نجاح التأثير الإيراني والتوافق الكلّي

يرى بعضهم أنّ سيطرة الحوثي على العاصمة صنعاء نتيجةً لنجاح التأثير الإيراني، وأنها باكورة أخرى تُضاف إلى حلفاء المشروع الإيراني، بعد لبنان، والعراق، وسورية. في حين يرى الإخوان أنّ تلك السيطرة

الدين. وبتغلغل اللوبي الصهيوني في الأوساط الأمريكية بوجه عام، ومن بينها الأوساط الثقافية والسياسية على وجه الخصوص، يُصوّر العرب في أذهان عقلية عامة الأمريكيين بدواً رُحلاً مترصدين، والمهدّد الرئيس والمستمرّ للبرانيين^(٢٩).

وترسم الأجندة الأمريكية وفق أهواء اللوبي الصهيوني واستثماراته الراغبة في زعزعة أمن المنطقة، منفّذين إياها من خلال سناريوهات التوصيات الختامية لدراسات المراكز الإستراتيجية في الولايات المتحدة التي يدير أغلبها هذا اللوبي، ومن ذلك يُستبطن ما أشار إليه أحمد منصور في كتابة قصة سقوط بغداد، وفقاً لما نشرته صحيفة القدس العربي الصادرة من لندن في ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٢، عن تقرير لصحيفة (هآرتس الإسرائيلية)، أنّ الولايات المتحدة ستعمل على تغيير أنظمة الحكم في الدول العربية، وعلى رأسها السعودية ومصر بعد الانتهاء من الحرب على العراق^(٣٠). وقد ذكر مؤسس الجماعة الحوثية في إحدى محاضراته أنّ السعودية ستعرض لمخططات عدائية لم يُشر إلى مصادرها.

وفي ما يخص إحياءات تنفيذ الدور الأمريكي تجاه اليمن، فإنه يُصنّف من خلال اجتماعات كبار المسؤولين اليمنيين إلى ممثلي السفارة الأمريكية في العاصمة اليمنية صنعاء، تحت غلاف الغطاء الأمني (أحياناً يُجرى أكثر من لقاء في أسبوع واحد، مع أكثر من مسؤول يمني). وتوحي إشارات تلك الاجتماعات بعدم جدية الولايات المتحدة، بوصفها عضواً في الأمم المتحدة، في حلّ الخلافات الناشئة بين الأوساط اليمنية؛ بغية التصعيد الداخلي والارتهان لهيمنتها، وتعزيز هذا الارتهان في المنطقة.

لذا، تتّضح من التدقيق البحثي التناقضات الأمريكية مع الحوثيين المبدية للاستغراب. فرافع شعار الموت ضدها يُمنح حقّ اللجوء السياسي، من ألمانيا الحليف إجبارياً للأميركيين. أضف إلى ذلك عدم اكتراثها لتبني هولندا وبعض الدول الأوروبية المطالبة بإدراج تنظيم الشباب المؤمن (نواة حركة أنصار الله) في القائمة السوداء، وعدم عدّه ضمن المنظمات الإرهابية. وهذا ليس من اللامبالاة، بل إنه يوحي بتطمينات، وإن كانت من الحليف الخارجي للحوثيين. كما يُلاحظ في هذا الشأن تناقض الولايات المتحدة دبلوماسياً، من خلال ممثلي سفارتها بالعاصمة اليمنية صنعاء. فأحياناً تُلفي تصريحاً داعماً

٢٧ مجلة المنتدى، المرجع نفسه؛ وانظر أيضاً: "ناتبة السفير الأمريكي تؤكد وقوف بلدها مع حكومة ما يسمى بالوفاق في مواجهة الثورة الشعبية"، صحيفة الحقيقة الناطقة باسم الحوثيين، العدد ١٣٨، ٢٨/٨/٢٠١٤ (أي قبل سقوط العاصمة صنعاء).

٢٨ "السلفيون ضحية الإصلاح..."

٢٩ للاستزادة، انظر: ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأميركيين، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠).

٣٠ للاستزادة، انظر: أحمد منصور، قصة سقوط بغداد الحقيقة بالوثائق، ط ٦ (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون/ دار ابن حزم، ٢٠٠٤).

من بوادر الصعود السياسي لأجنته في عقب ثورات الربيع العربي، أفزع قوى محلية، سواء كانت حاكمية، أو معارضة، وأفزع كذلك قوى خارجية. فعمدت القوة الداخلية إلى إزاحته (الحالة المصرية)، مدعومة بالقوة الخارجية من خلال طرائق عديدة. كما دُعِمت سياسة إقصاء الطموح الإخواني بمهمات شبة سرية تشير إلى تغافل إجراءات تنفيذ عقوبة البند السابع ضدَّ المعرقلين (الحالة اليمنية)، وهذا ما أضعف هيبة الدولة، وهيئاً لسيطرة الحوثيين على العاصمة اليمنية صنعاء، وقد أشار المتنافسون أنفسهم إلى ذلك.

خاتمة

تُنَفَّذُ قوى التأثير الخارجي مسار أجندتها في اليمن، من مبدأ الاستغلال السلبي للتنوع الحاصل في الساحة اليمنية. ولعل زيادة الوتيرة تضاعفت في عقب ثورات الربيع العربي عام ٢٠١١. ولوقوف على ما قبل هذا العام، نجد أنه لم تُمنع أيُّ فصيلة يمنية من العمل السياسي، إلا أنَّ كتله الحزب الحاكم في البرلمان دعت إلى إلغاء الفترة الرئسية المحددة بفترتين فقط، وجعلها مُطلقة للرئيس صالح^(٣١)؛ ما دفع الإخوان إلى الانخراط في ثورة ٢٠١١ الشبابية، وإلى خروج الحوثيين من "المعقل" (صعدة) إلى العاصمة صنعاء والمشاركة في الثورة.

وفي هذا السياق، تغيرت الموازين وعلاقاتها؛ إذ سيطر إخوان اليمن على تحريك العمل الثوري، وظلَّت العامة أنَّ ذلك من بوادر التزعّم وأخذ الحُكم، ولكن سرعان ما تراجع ذلك الظنّ، بظهور ملامح الخلاف مع الجماعة الحوثية بعد انتهاء مؤتمر الحوار الوطني الشامل، إضافةً إلى نشوب الحرب في منطقة دماج بمحافظة صعدة بين الحوثيين والسلفيين التي حايدها الإخوان لعدّة أسباب، وساندتها أطراف قبلية، انتهت بنقل المركز من دماج، إلى محافظة الحديدة الساحلية. ولم يكن ذلك، بالنسبة إلى الحوثيين، نهاية المطاف. بل إنهم زحفوا صوب العاصمة صنعاء بعده مطالب بحركة للجماهير، مسيطرين على مناطق كثيرة قبل وصولهم إليها (من بينها محافظة عمران)، إلى أن تمَّت السيطرة على العاصمة صنعاء. فدُفع إخوان اليمن في مساء اليوم الذي سيطر فيه الحوثيون، إلى المشاركة في توقيع وثيقة السلم والشرابة الوطنية.

نتيجةً لحالة التوافق الكلي، من أجل إزاحة إخوان اليمن، مقارنين هذا السقوط بتلك الإزاحة التي حصلت للرئيس محمد مرسي في مصر.

”
سيطرة الحوثيين على العاصمة صنعاء إضافة
جديدة للمشروع الايراني في لبنان والعراق وسورية

”

فإيران أذابت جليد القطيعة بينها وبين الولايات المتحدة، ولا سيما بعد فوز الرئيس حسن روحاني، وعملت ضمن علاقاتها الغربية على فتح صفحة جديدة من التعامل، بخاصة مع واشنطن؛ ولذلك اختير محمد جواد ظريف المعروف باتصالاته الواسعة مع الأميركيين وزيراً للخارجية^(٣٢)، وبادر الرئيس روحاني إلى إشاعة مناخ جديد على عكس سابقة خاتمي ونجاد، وخاطب الجمهور الغربي بكتابته مقالات في الصحف الأميركية، وإجرائه عددًا من المقابلات المتلفزة من خلال قنوات فضائية أميركية كبرى^(٣٣)، على أنَّ السياستين الإيرانية والأميركية تتشابهان في سياسة المدّ (شأنّ الإصلاحيين والديمقراطيين)، وتشابهان أيضًا في الجزر (شأنّ المحافظين والجمهوريين)، وفي تأدية الرئيس المنتخب عمله من حيث انتهت سابقة، على عكس الأنظمة الجمهورية في الوطن العربي.

ومن ثورة الإمام الخميني وبرنامجه البنائي، جرى نَحْت مسار علاقة إيران الخارجية بالشرق تدعيمًا للقطبية الثنائية، بدلًا من علاقاتها بالغرب على غرار ما كان سائدًا في السابق. وقد استفادت إيران من الخبرات التكنولوجية الروسية، بالنظر إلى وجود دوافع مشتركة بينهما. ثمَّ إنَّ إيران ألغت الاعتراف بإسرائيل، تدعيمًا للقومية الإسلامية خصوصًا، والعربية عمومًا، وقد هدّد الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، في أحد خطابه، إسرائيل بإزالتها من الخريطة. وكلّ ذلك يشير إلى الأبعاد الإستراتيجية لإيران، إذا فرضنا أنَّ سيطرة الجماعة الحوثية على العاصمة اليمنية صنعاء نتيجةً لتأثيرها.

وفي حال توافق بين جميع المؤثرات، فإنَّ تيار الإخوان بما يحمله من أفكار تحرريه على المستوى السياسي والقومي، وبما يحمله أيضًا

٢٩ انظر: "التقارب الأمريكي - الإيراني: أسبابه وفرص نجاحه"، سياسات عربية، العدد ٥ (٢٠١٣)، ص ٣٦.

٣٠ "بواعث القلق الإسرائيلي من احتمالات التقارب الأمريكي - الإيراني"، سياسات عربية، العدد ٥ (٢٠١٣)، ص ٣١.

٣١ انظر على سبيل المثال: ماجد الجرافي، "الرئيس والمشتبك: من الحوار على إصلاحات دستورية وانتخابية إلى التفاوض على الرحيل"، صحيفة الغد، ٤ / ٤ / ٢٠١١.